# الدراسات الكيفية

## تعريف الدراسات الكيفية

- هي نوع من البحوث العلمية، التي تفترض وجود حقائق وظواهر اجتماعية يتم بنائها من خلال وجهات نظر الأفراد والجماعات المشاركة في البحث.

- هي الدراسات التي تركز على إبراز الصفات التقويمية للظاهرة من أجل كشف الدلالات و المعاني التي تحملها بياناتها المادية عبر القراءة العميقة لها، بغرض تسليط الضوء على خلفياتها و أبعادها المضمنة.أي غير المصرح بها.و بالتالي فهي تجيب على سؤال:ماذا قيل من أفكار مختلفة على المستوى الدلالي؟وهذا باعتماد الباحث على القراءة الشخصية للبيانات المادية و هنا تؤدي الفطنة الفردية والثقافة الواسعة والخبرة الطويلة الدور الأساس في ذلك للوصول إلى ما هو في صدد البحث عنه. مع العلم أن هذا النوع من الدراسات لا يتطلب الإجراءات البحثية الكثيرة والمعقدة،كما يقوم على الدراسة الجزئية لمادة التحليل أي على رصد ما ورد من أفكار بشأن موضوع معين في المادة المبحوثة أو على الدراسة الكلية لها أي عرض كل معاني المواضيع المضمنة داخلها في شكل مسح عام للتعرف على طبيعتها.

- هو البحث الذي يعتمد على دراسة الظاهرة في ظروفها الطبيعية، باعتبارها مصدرا مباشرا للبيانات، ويتم جمع البيانات بواسطة أدوات مثل الملاحظة المباشرة، المقابلات المعمقة، فحص الوثائق يتم فيها عرض البيانات بطريقة وصفية تستخدم الكلمات والصور، ونادرا ما تستخدم الأرقام، أي مقاربة الظاهرة أو موضوع اجتماعي أو إنساني دون التقنيات الكمية والرقمية.

## أهمية الدراسات الكيفية

- تهدف المناهج الكيفية إلى المساعدة على فهم العالم الذي نعيش فيه والأسباب التي جعلت الأمور على ما هي عليه ودائما يسعى الباحث الكيفي للإجابة على العديد من الأسئلة حول تصرف الناس بالطريقة التي يتصرفون بها وكيف تتشكل الآراء والمواقف وكيف يتأثر الناس بسبب الأحداث التي تمر من حولهم ولماذا تطورت الثقافات وكيف تم ذلك، ويتطور البحث الكيفي للعثور على كل هذه الأجوبة ويعتبر البحث الكيفي متماشيا مع الآراء والخبرات ومشاعر الأفراد المنتجة للبيانات غير الموضوعية لذلك يصف البحث الكيفي الظواهر الاجتماعية لأنها تحدث بصفة طبيعية ولم تبذل أي محاولة لمعالجة الوضع تحت الدراسة كما هو الحال مع البحوث الكمية التجريبية .

- تتضح أهمية الدراسات الكيفية من أوجه القصور والسلبيات الموجهة للدراسات الكمية والتي من أهمها:

- إن الطرح الكمي جعل الظاهرة الاجتماعية مماثلة للظاهرة الطبيعية رغم الفروق الجوهرية القائمة بينهما وأهمها ارتباط الظواهر الاجتماعية والإنسانية بالقيم وعدم ارتباط الظاهرة الطبيعية بها فمسألة القيمة تعتبر أساسية ولا مفر من مواجهتها قبل التعرض للمشكلات الخاصة بالعلوم الإنسانية .
- من المستحيل استبعاد الأحكام القيمية والمفاهيم القبلية من البحث في العلوم الإنسانية وهو ما ذهب إليه ماكس فيبر عندما اعتقد بأن المسألة لم تعد في إقصاء كل مفهوم قبلي وكل حكم قيمة بل لا بد من إدماجها في العلم وتحويلها إلى أدوات نافعة من أجل البحث عن الحقيقة الموضوعية.
- إن كل فكر تاريخي أو اجتماعي يخضع لتأثيرات عميقة غالبا ما تكون غير واضحة بالنسبة للباحث الفردي وهذه التأثيرات لا يجب أن تكون موضع إقصاء بأي حال من الأحوال بل لا بد

للباحث من الوعي الكامل بها وإدماجها في البحث لتفادي مفعولها المشوش أو تقليصه إلى الحد الأدنى.

- إن الظواهر الاجتماعية والإنسانية تختلف تماما عن الظواهر الطبيعية فهذه الأخيرة لا عقل ولا إرادة لعناصرها لأنها أحادية النسق تحكمها كلا أو جزءا قوانين ونظريات واحدة لا تتبدل أما الظواهر الاجتماعية والإنسانية فعنصرها الأساسي هو الإنسان الاجتماعي العاقل ذو الإرادة الذي يعيش معاشرا لغيره ومرتبطا بهم بشتى العلاقات لذلك فهي ثنائية النسق.
- إن العلوم الاجتماعية والإنسانية تعنى بمعالجة القضايا النوعية والقيمية المستمدة من الخبرة الإنسانية ومجالاتها فيما يستقر بها من الشعور والوعي ومن اللاشعور والحدس دون أن تنقص عوامل الذاتية من جدوى المعارف المتوصل إليها.
- إن الباحث في العلوم الطبيعية يقف كلية خارج موضوع دراسته بينما في العلوم الإنسانية فهو عضو في مجتمع وجزء من الواقع الذي يخضعه للدراسة ومعتقداته تسبق دراساته ويحمل فكرة عن المجتمع والثقافة والشخصية وله قناعات ومسلمات وقد يكون لما طبع عليه في مؤسسات المجتمع الذي ينتمي إليه تأثيرات على مستوى إدراك وتفسير القضايا الاجتماعية وهو يجمل إيديولوجيا لعلها تدفع إلى اتجاه تقديم التفسيرات التي تنسجم معها وكل هذه المعطيات تشكلت تحت تأثير واقع تاريخي معين شارك فيه هو نفسه.

- تتنوع أهداف البحث النوعي فقد يكون الهدف هو تأسيس نظرية أو بناء المفاهيم والتعرف عليها أو الوصف ،ورغم هذا التباين فإن كل الأنواع تتفق على أن المقصد هو الفهم الأعمق لسلوك الإنسان وخبرته ووصف عمليات بناء المعاني التي يستخدمها الناس حيث ينظر إلى سلوك الإنسان أنه معقد بحيث يصعب فهمه بالطريقة الكمية فالنظر للبحث من منظور السبب والنتيجة أو التنبؤ يؤثر سلبا في قدرة الباحث على النظر بشكل أعمق للمعاني التي يتضمنها سلوك الإنسان.

- يهدف البحث النوعي إلى توسيع نتائج الحالة المبحوثة لاحتمالات الاستفادة منها في مواقف وحالات أخرى وهو بذلك يركز على وصف الظواهر والفهم الأعمق لها .

- **خصائص الدراسات الكيفية:** تتميز البحوث الكيفية بعدة مميزات وخصائص تميزها عن أنماط البحوث الأخرى، ومن هذه الخصائص:

- يرتكز المنهج الكيفي على الأسس النظرية التالية:

- البنائية: ترتكز البنائية على الاعتقاد الثابت بعدم وجود واقع موضوعي أو حقيقة موضوعية في المقابل فإن الواقع يتميز بأنه مبني بناءا وعلى الرغم من وجود الواقع المادي الذي يوجد خارج وعي الإنسان لكنه ليس له معنى إلا بعد تناول الإنسان له فالمعاني لا توجد قبل أن يتفاعل معها العقل الإنساني، فبناء الواقع يعني تفسير العالم من حولنا واكتساب انطباعات ترتكز على خبرات شخصية وتفسيرات محددة ثقافيا ومتموضعة تاريخيا .
- التوليد الفردي والجمعي للمعاني: يختلف الناس في مدى توليدهم للمعاني في أثناء تفاعلهم مع الأشياء فإضفاء المعاني يتم بمساعدة آليات ثقافية كالتنشئة الاجتماعية مع الآخرين حيث يتعلم الناس معاني في الأشياء فالأفراد لا يحددون أسماء جديدة ولا يعطون معاني جديدة للأشياء لأن

المعاني تتولد كلها وهي متوافرة في الثقافة التي تبني هذه المعاني وتنقلها حيث تشارك وتبنى اجتماعيا كما يحافظ عليها ويعاد بناؤها من خلال التفاعل.

- التفسيرية: إن العملية الرئيسية التي تسهل البناء وإعادة البناء هي التفسير وهو ما يتطلب تقويما تأمليا للانطباعات التي أعيد بناؤها عن العالم ويعني مصطلح التفسير التشديد على توليد المعاني وتعلم وجهات النظر الخاصة بالفاعلين.

- تندرج البحوث النوعية في إطار التفاعلية الرمزية والظاهراتية اللذين يشتملان على أنطولوجيا بنائية وعلى ابستيمولوجيا تفسيرية ويفرضان تصاميم مرنة وطرائق نوعية تتميز بما يلي:

- إدراك الواقع: ينظر الباحثون النوعيون إلى الواقع على أنه ذاتي مبني بناء ومتعدد الجوانب ومتنوع ويدرك الواقع عند هؤلاء عقليا وليس من خلال الحواس وهذا الواقع يكمن في عقول الناس الذين يبنونه،لذلك فكل فرد يبني واقعه الخاص به الذي يكون ذاتيا وهذا يعني أن الواقع يتعدد بتعدد الأفراد وبما أن الأفراد يدركون العالم بطرق مختلفة فإن لكل واحد منهم واقعه الخاص به.
- إدراك الإنسان: يحتل العنصر البشري في البحث النوعي موقعا مركزيا فالناس هم الذين يوجدون أنظمة معاني الحوادث التي يبنون بها الواقع وهم مشاركون فاعلون في تشكيل عالمهم لا مجرد مراقبين بعيدين من المشاركة ، ويعتقد معظم الباحثين في هذا الموضوع بعدم وجود قوانين عامة ذات طبيعة مقيدة ومحددة وعلى الرغم من ذلك ثمة أنساق للسلوك وضروب من الانتظام تظهر نتيجة للتقاليد الاجتماعية التي رسخها التفاعل الاجتماعي ومن واجب الباحثين البحث عن أنظمة المعاني التي يستخدمها الفاعلون لتكوين معنى لعالمهم الذي يعيشون فيه.
- هدف البحث الاجتماعي : يهدف البحث النوعي إلى مساعدة الباحثين في تفسير وفهم :

✓ الأسباب التي دفعت الفاعلين إلى القيام بأفعالهم الاجتماعية
✓ الطريقة التي يبنون بها حياتهم والمعاني التي يطلقونها على جوانب حياتهم المختلفة
✓ السياق الاجتماعي للعمل الاجتماعي والمهم هنا ليس الأفعال الملحوظة بل المعنى الذاتي لهذه الأفعال

- يتميز البحث النوعي بأنه يجرى في وضع طبيعي مركزا على ميدان البحث ويحاول أن يدرك الواقع وهو في حالة من التفاعل، ويقدم أوصافا دقيقة من خلال المعلومات التي يجري جمعها بشكل مفصل وكامل مع التأكيد على السياق بهدف الحصول على تصور له ولمنطقه وترتيبه وقواعده الظاهرة و الباطنة، مركزا على مبدأ الانفتاح حيث يدخل الباحث إلى الميدان من دون أي أفكار مسبقة أو أنماط أو نماذج مكونة سابقا وليس له تصميم دقيق وصارم ولا يضع فرضيات وليست هناك قيود على موضوعه أو نطاقه أو إجرائه، لذلك يتصف بالمرونة حيث يكون التقويم وطريقة البحث وعملياته قابلة للتغيير، إضافة إلى التركيز على التواصل الذي يعد عملية انتقائية لتوليد المعنى في السياق الاجتماعي ويعمل البحث النوعي ضمن عملية التواصل التي يعد جزءا منها.

- يعتمد البحث الكيفي على جمع وتحليل وتفسير البيانات بشكل سردي ومنطقي لأجل فهم ظاهرة محددة، فالباحث الكيفي يعتمد الملاحظة المباشرة في الميدان الطبيعي للحياة الاجتماعية، وقد يدغم ملاحظته المباشرة بجمع بعض الوثائق أو يجري مقابلات غير مقننة، إذ ليس للباحث الكيفي أي سيطرة مسبقة على أي من المتغيرات أو أساليب جمع البيانات، وان الباحث يتجنب اللجوء إلى الطرق الإحصائية التي تميز البحوث الكمية .

- في هذا النوع من البحوث لا يمكن تحديد إشكالية الدراسة بوضع فرضيات أو أسئلة مسبقا، بل يتم وضعها أثناء عملية جمع البيانات، وقد تتغير تلك الاستنتاجات بناءا على بيانات لاحقة التي يتحصل عليها الباحث، كون الهدف الرئيسي للبحث الكيفي ليس اختبار الفرضيات، وإنما تكوين الفرضيات والنظريات.